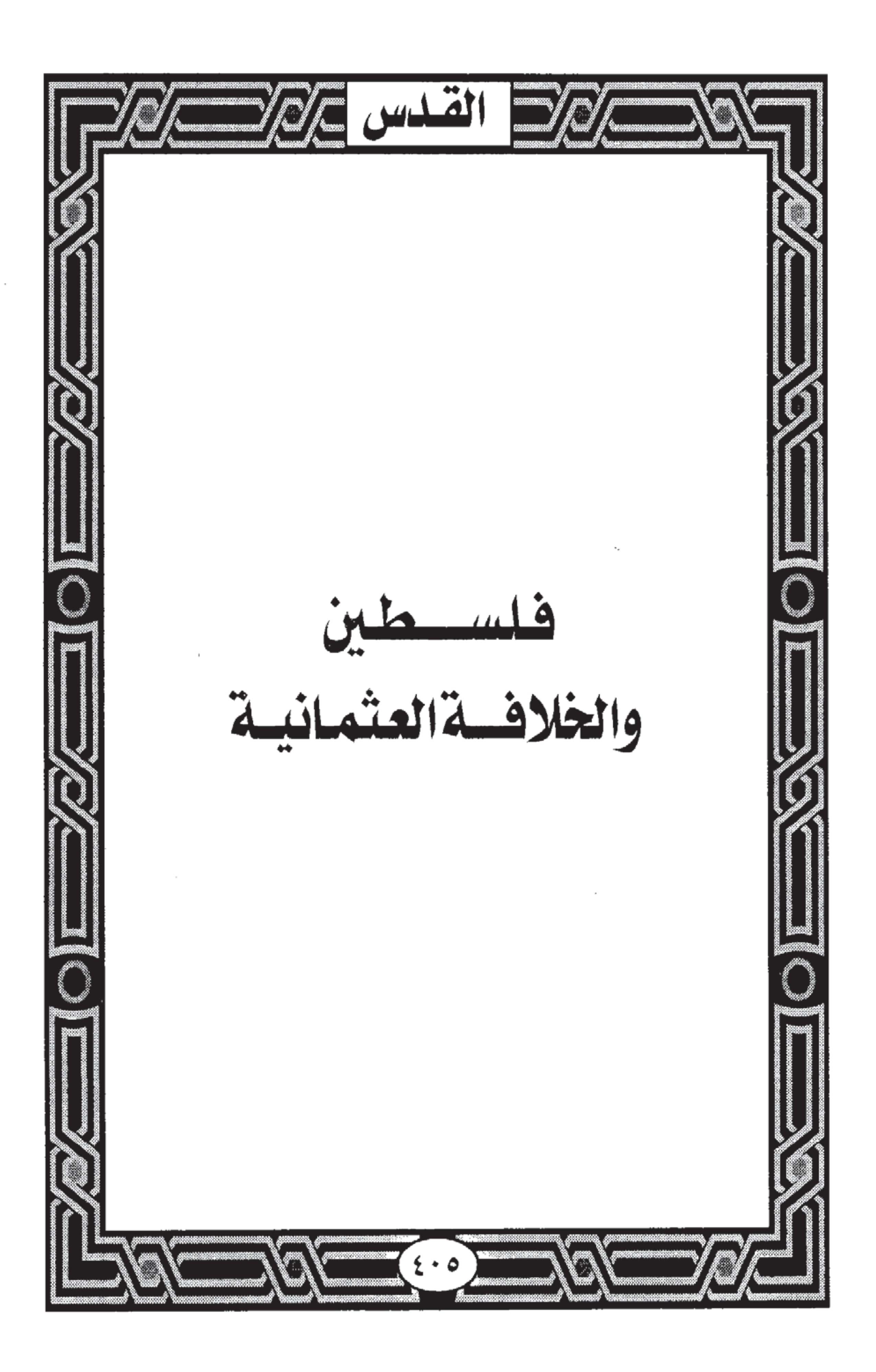


فلسطين والخلافة العثمانية

فلسطين أيام الخلافة العثمانية

(٩٢٢هـ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٥١٧ ـ ١٩١٧م)

◘ دخلت القدس في حماية الأتراك أواخر أيام عام ٩٢٢هـ في عهد السلطان سليم، وهو السلطان التاسع من سلاطين آل عثمان.

وكان أول نائب تركي على القدس هو «جان بردي الغزالي»، وكانت ولايته نذير شؤم على القدس؛ لأن هذا الرجل خان قائده قانصوه الغوري، واتصل بالسلطان سليم سرًّا واتفق معه على أن ينسحب هو وخير بك من جيش الغوري في معركة مرج دابق. وكان أحدهما على ميمنة الغوري، والآخر على يساره.

فكانت هزيمة جيش الغوري بسبب ذلك، فكافأه السلطان سليم بأن ولاّه نيابة الشام، ومنها القدس. وبعد موت السلطان سليم طمع في السلطنة، واتصل في هذا السبيل بفرسان القديس يوحنا في رودس لمساعدته، ولكن اللَّه جعل منيته في تدبيره، فمات ولم يصل إلى مطمعه»[1].

◘ في عام ١٥٢٠م، تولّى السلطان سليمان القانوني، وفي عهده جُدِّد آخر سور حول القدس الشريف.

◘ وفي عام ١٢٤٧هـ ١٨٣١م سقطت القدس في أيدي إبراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري.

ولكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول الكبرى.

◘ وفي عام ١٨٧٤م ١٢٩١هـ ارتبطت متصرفية القدس بوزارة الداخلية في استانبول، وفي سنة ١٩١٧م. سقطت في أيدي بريطانيا.

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(٤٥٧)، و«الكواكب السائرة» (١/ ١٦٨).

حفاظ السلطان عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية

❑ لعل الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد من فلسطين والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان في نظر الباحث العربي المسلم، لتثمين دور السلطان عبد الحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبّان تلك الفترة، والتي استغلتها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له باسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات اليهودية.

❑ ولم يكن «تيودور هرتزل» هو الوحيد الذي سعى لمقابلة عبدالحميد وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهيونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهيونية إلى بغيتها، إلا بعد أن نجحت في مخططها لإبعاد عبد الحميد عن عرش الخلافة الإسلامية.

❑ وقد روى الشيخ طه الولي[1] أنه زار مع أخيه فؤاد الولي ـ قبل وفاته ـ في ١١ أيلول سبتمبر ١٩٦٧ الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

❑ كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى

(١) الشيخ طه الولي، عالم وبحاثة لبناني فاضل، يعمل أمينًا للمكتبة العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، أما شقيقه فؤاد فقد كان رحمه اللَّه، أستاذًا للتاريخ في كلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس الشام بلبنان.

جانبي الشيخ محمود الجيزاوي، أمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني فاستقبلهم تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

١ ـ مزاحي قراصو مدير أحد البنوك.

٢ـ جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

٣ـ ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفيًّا للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ:

١ـ الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

٢ـ بناء أسطول لحماية الدولة.

٣ـ تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة؛ لانعاش مالية الدولة وإنماء مواردها مقابل:

١ـ إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

٢ـ السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

١ـ إن ديون الدولة ليست عارًا عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

٢ـ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ولست مستعدًّا أن أتحمل تاريخيًّا وصمة بيع الأراضي

المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

٣ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

وأخبراهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتي أو الدخول لهذا المكان بعدها..

◻ ويستمر الشيخ علي شيخ العرب[١] في روايته فيقول: إن عبدالحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فورًا عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا الزائرون لمدة محدودة.

◻ ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدونمة»، وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا، فاطاحوا بعبد الحميد عام ١٩٠٨، ولم تكن «المشروطية»[٢] غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة بـ «الارتجاعية»[٣] لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيدًا

(١) الشيخ علي شيخ العرب، أحد شيوخ العرب الذين قربهم إليه السلطان عبد الحميد فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلدز».

(٢) المشروطية: دعوة إلى إباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.

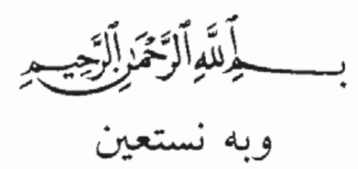
(٣) الارتجاعية: دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ«الرجعية»، وهي حادث ٣٠ مارت الذي أدى إلى الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد بعد أن تم تدبير مجزرة كبرى في استانبول نسبت للارتجاعيين، وصورت على أنها مرتبة ومخططة لتثبيت نفوذ عبد الحميد والانقضاض على المشروطية الثانية، كما حصل في أعقاب المشروطية الأولى.

إلا أن الوثائق أثبتت كما سنورده في الباب القادم، أنها تمت بتدبير من الاتحاديين =

للتخلص من الإسلام نفسه.

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبد الحميد الثاني، لانتزاع موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين(١).

وقد بعث السلطان عبد الحميد برسالة إلى شيخه محمود أبوالشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة العربي، وهذا نصه يا هو(٢).



وبه نستعين

خطاب عبد الحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات.

الحمد للّه رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة(٣)، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي

= والماسورنيين والانكليز وقد وردت ـ اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من أنور باشا، وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم.

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ـ ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد.

(٢) يا هو: الذكر بالاسم المفرد «اللّه اللّه» يا خليفة المسلمين لا يجوز، والذكر بالاسم المضمر هو نوع من الهوس.

(٣) مفيض الروح والحياة هو اللّه سبحانه وتعالى.. وليس شيخ الطريق الشاذلية، وهكذا يقع خليفة المسلمين في الشرك ـ رحمه اللّه ـ وعافاه.. وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بمثل هذه المعتقدات البدعية. سقطت لما كان المستشار الدّيني لها محمد أبو الهدي الصيادي شيخ الرفاعية الذي سمّاه الكواكبي «البغل المزركش» وأتى بالأقوال الطوام.. لما انتشرت البدع والشركيات نالها ما نالها.

الشامات، وأقبل يديه المباركتين، راجيًا دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعـرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي! إنِّي بتوفيق اللَّه تعـالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية[(١)] ليلاً ونهـارًا، وأعرض أنني ما زلت مـحتاجًـا لدعواتكم القلبيـة بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمـثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني ـ بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون ترك» وتهديدهم ـ اضطررت وأُجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصـرّوا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليـهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصـرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيرًا وعـدوا بتقديم (١٥٠) مـائة وخمسين مليون ليـرة إنكليزية ذهبًا. فرفضت هذا التكليف بصورة قطعيـة أيضًا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا ـ فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

---

(١) الأوراد الشاذلـية بما فيـها من بدع واسـتغـاثة وطلب المدد من غيـر اللَّه. .وأنت خليـفة المسلمين رحمك اللَّه وغفر لك.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي، والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضًا».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين».

وقد كان ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على اللَّه المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه. ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة، أن أحيط سماحتكم علمًا، وتحيطوا جماعتكم بذلك علمًا.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

٢٢ أيلول ١٣٢٩ — خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

◻ وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد وجّه مذكرة إلى سفيره بالأستانة عام ١٨٤٠ قال فيها:

«يقوم بين اليهود والمبعوثين الآن في كل أوربا شعور قوي، بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..

ومن المعروف جيداً أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة. . ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداد كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.

فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه، وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل».

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوربا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط منها».

❐وبعد عام واحد أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى سفيره في الأستانة طالبه فيها بإقناع السلطان بإباحة هجرة اليهود وقال:

«سيكون مفيداً جداً للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وإفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين، لكن اليهود يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فإني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حملة بريطانيا، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكاواهم عن طريق السلطات البريطانية».

كما استعان اليهود الروس بالسفير الأمريكي في الأستانة ليبذل نفوذه ومساعيه لدى السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصاً بعد قرار الولايات المتحدة الأميركية عام (١٨٨٢م)،

وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبد الحميد أخفق في إقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام (١٨٨٧م) بذلت فيها كل جهودها وإغراءاتها المالية ووعودها العلنية والسرِّية، بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبد الحميد ثبت على رفضه القاطع.

◻ وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار مارس (١٨٨١م)، وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية إيواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا[(١)].

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية «البيلوا» في عام (١٨٨٢م) من إيصال ٢٠ مستعمرًا يهوديًّا إلى فلسطين اعتبروا «رواد» الهجرة اليهودية، وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعًا ولولا مساعدات البارون إدمون دي روتشيلد لماتوا جوعًا ومرضًا.

◻ وقيل أيضًا أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى

---

(١) انظر: د. صالح مسعود أبو بصير ـ «جهاد شعب فلسطين» ـ رسالة دكتوراه بالأزهر ـ دار الفتح ـ ببيروت.

استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

وفي عام (١٨٩٦م) اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على إذن لمقابلة مع قيصر ألمانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزًا، وتستطيع أن تلعب دورًا في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

وعندما أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مندوبًا سريًّا لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن ـ كما جاء في مذكراته ـ مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبد الحميد رفض العرض.

وقد أرسل «المسيو كريسبي»[١] مقالاً حول القضية الصهيونية يشير فيه الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) قال كريسبي: «كان الدكتور هرتزل[٢] في ذلك العهد رئيس تحرير القسم

---

(١) وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي: المساء بقلم صحفي إنكليزي يدعى «كريسبي»، وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٣٣م ص(٢٩).

(٢) الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بوادبست (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) وأقام في فيينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «دير يودنيشتات» أي: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ وترأس أول =

الأدبي في جريدة «نيوفري» في فينا، فأرادني أن أسعى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم «امبراطور ألمانيا» والبرنس دوبيلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الإمبراطور إلى فلسطين.

❑ فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الاستانة اكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا «العابد» الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزراب من الذهب، وقد قبلت أن أهتم شخصيًّا بقضية الدكتور هرتزل وخصوصًا أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ.

وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الإسلام «جمال الدين أفندي» وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فإن هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدمات باهرة وإليك بيانها:

أن الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في أنحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ «إذا لم تخني الذاكرة» ٣٣ مليون ليرة إنكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن

= مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب اغسطس ١٨٩٧م كما قابل السلطان عبدالحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط، حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.

أراضي الدولة العلية.

وفي هذه الأثناء قبل «أي: هرتزل» أن يعقد للدولة العثمانية قرضًا بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام، ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح.

□ يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ ـ ١٨٩١م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاه «آحاد هاعام» (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ ـ ١٩٠٤م).

ورواد الصهيونية هؤلاء جميعًا يتفقون على فكرة الإستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

□ وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام (١٨٩٥م) ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكتم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المعدمين ـ الفلسطينين ـ عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا ـ فلسطين ـ بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». «يوميات هرتزل: ط٢، بيروت ١٩٧٣م».

□ وفي عام (١٨٩٨م) سئل هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترح إقامتها في مؤتمر بال (١٨٩٧م) وما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعداها شمالاً فقال: «عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما

احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع». «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

▫ أما الكابتن «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل» الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود: الماضي والحاضر والمستقبل» الذي أصدره عام (١٩١٩م)، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر النيل».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام (١٨٥٥م) بقدوم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني - قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية - وفي عام (١٨٧٠م) أنشيء أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضًا بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام (١٩٠١م) تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كايميت» تنفيذًا لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي[1] .

(١) لا يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم إنفضاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبانيتها عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إفتقاره لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأميركي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائيًا.
وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) حينما وقف الجنرال دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية =

وبعد نجاح المؤامرة اليـهودية بالإطاحة بالسلطان عبد الحـميد الثاني على يد الاتحاديين عام (١٩٠٩م) أصدر «الاتحاديون» تـشريعًا يقضي ببيع جمـيع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلنـي! ولولا يقظة عرب

= العربيـة من زاوية الحرص الخالص علـى المصالح الأميـركية في المنطقـة، درسًا بليغًـا أكد للصهاينة في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة ـ التي قد لا تحتـملها «إســرائيل» ـ ثانية، مما حـدا بهم لبرمـجة العـمل للسيطرة على البـيت الأبيض والخارجيـة والدفاع والمخابرات، ومجلس الشـيوخ والنواب ومختلف الأجهـزة العسكرية والإعلامـية، والجامـعية والثـقافيـة والمالية والاقـتصادية، ومـراكز البحـوث والدراسات والاستفـتاءات، لضمان استـمرار الانحياز الأميـركي لتثبيت وجود ذلك الكيـان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.

ومن المؤلم أن يشهـد العرب والمسلمون في هذه الآونة المظلمة من تاريخنا، بـدايات تنفيذ تلك المشاريع التقـسيمية، التي لم يعد الخـجل ليمنع دعاتها من رفع عقيـرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عـن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطـوا في «جرأتهم» الأجهزة الاستـعمارية في أسوأ أيام الانتـدابيين الفرنسي والإنكليزي، ولعل الأشـد إيلامًا أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومـرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتـحرك سـاكن، وكـأن المشاعـر تبلَّدت، والهـمم فتـرت، والنخـوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى اللَّه وخشية العاقبة!.

ولقد أكد الكاتب الأميركي سـتيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود مـا كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتـصارات بدءًا بحرب (١٩٤٨م)، وحـتى غزو لبنان (١٩٨٢م)، بل حتى اليـوم، لولا التورط الأميركي التـدريجي في الانحياز إلى «إسرائيل» ضـد العرب، معـززًا قناعتـه بمجموعـة من الوثائق السرية التي عـثر عليـها في ملفات الاسـتخـبارات الأميركية وغـيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعـها أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأميـركي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كـما يكشف عن المخالفة التي ارتـكبها عسكريون أميركـيون للدستور الأميركي بمحاربتـهم إلى جانب «إسرائيل» عام (١٩٤٨م)، دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مـرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد تواطؤ الشرق والغرب على قضيتنا العربية والإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزّت التضحيات.

فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ ـ ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلاد فلسطين: مصطفى الدباغ».

وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف مونتفيوري»، وقد نجح الصهاينة في تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ«سياسة الخطوة خطوة»، حتى التهمت «إسرائيل» غزة وسيناء، والضفتين والجولان، ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الحاصباني والليطاني والوزاني، ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزًا للـ «الخيبة العربية» التي جسدتها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان أبريل (١٩٧٥م)، والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لإقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عنصري[١].

---

(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام (١٩٤٧م) كان اليسار العربي يقف جنبًا إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الإتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقدهما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المارد الإسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان استنزاف قوى وطاقات هذه المنطقة.

. . . .

= ولقد تكرس هذا اللقاء «الشرقي ـ الغربي» بصورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلن لتحقيق «التفاهم» بين «إسرائيل» «والعرب»، حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار «العربي ـ الإسرائيلي» منذ عام (١٩٥٦م)، حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي «المصري» هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبد الناصر، وبن جوريون يدعوانهما فيهما باسم «الحركة الديموقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية «وإسرائيل» ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) أجهض تلك المحاولة.

وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على الجبهة «الإسرائيلية» لا يجد بينهم إلا الأيدي القذرة الملطخة بالدماء، بل إن بين ضحاياهم أبطالاً حقيقين للسلام، وأولهم: «ناتان يالين ـ مور» وهو رئيس عصابة «شتيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة إلى فلسطين عام (١٩٤٨م)! وثانيهم «عاموس كنعان» الكاتب الصهيوني المعروف والعضو في عصابة «شتيرن» أيضًا، أما ثالثهم فهو «يوري أفنيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الإسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستعار لشخصية إرهابية يهودية مصرية سبق أن طردت من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعد نزوحه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصحفي الخطير في «لوموند» الفرنسية، وخبير شؤون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية ولإذاعة وتليفزيون باريس!!، أما بقية أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبوهين من رفاق هنري كوريال وبينهم: «كلوديا» التي كانت تعمل ضمن وفد مصر للأونسكو في باريس، و«جوزيف حزان»، و«جويس بلو»، و«ريمون اسطمبولي»، و«موريس بارث»، و«دانييل أميت» الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيتا هوبيليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وجميعهم ممن شارك في كل الحروب العربية ـ «الإسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الحافلة عبر أنشطة عصابات «شتيرن» و «أرغون» و «الهاجاناه»، وتلك هي «الحمائم الإسرائيلية» الوديعة!!.

وعلى الجانب العربي مَن عسانا نجد مِن أبطال السلام. إن تاريخ «الحوار العربي ـ الإسرائيلي» يسجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في «فلورنسا» بإيطاليا برعاية ولي عهد المغرب ـ آنذاك ـ الأمير الحسن بن محمد الخامس، وكان ذلك في عام (١٩٥٨م)، بترتيب من هنري كوريال الذي جمع فيه وفودًا من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي

. . . .

= الحزب الشيوعي الإسرائيلي «راكاح»، وبعد عدوان (١٩٦٧م) التقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كوريال في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديموقراطية»، و«حركة الضباط الأحرار» مع «كوريال» و «أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبد الناصر، وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبد الناصر عام (١٩٧٠م).

ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءًا بممثل المنظمة في لندن سعيد حمامي الذي لقي مصرعه في يناير (١٩٧٨م) ومرورًا بنعيم خضر، وبعز الدين قلق اللذين اغتيلا في أبريل (١٩٨٣م).

كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في داكار «أبو خليل»، وكان عرّاب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولاي شاوسيسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي «بيار منديس فرانس» الذي استضاف الحوار مرارًا في قصره الصيفي.

وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور إبراهيم ماخوس قبيل عدوان يونيو (١٩٦٧م)، باجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما اعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موشى دايان في الرباط (١٩٧٦م)، تمهيدًا لعقد اتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن اغتيال أنور السادات عام (١٩٨١م).

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن اتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموارنة وقادة «العدو الإسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون اجتماعات حضرها بيار الجميل ووالده بشير وأمين مع شخصيات «إسرائيلية»، أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام (١٩٧٥م).

وقبلها كانت اجتماعات «الشونة» بين «جوالدا ماير» والملك عبد اللّه التي أدت إلى اغتيال الملك عبد اللّه في المسجد الأقصى عام (١٩٥٠م).

وهكذا نجد أن أقصى اليمين التقى مع أقصى اليسار في «حوار» ودي لترسيخ كيان «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفًا زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.

ونشـرت مجلة «المشـرق»[1] تفاصـيل محاولـة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الاستانة أيام عبد الحميد فقال:

«لما كان اللورد «غوش» الإسـرائيلي أي: اليهودي سفيـرًا بالأستانة عرض على الحكومـة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعـاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمـائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العـالي، يسمـونها كمـا يشاؤون، بشرط أن يدفـعوا لمولانا السلطان مـبلغًـا عظيـمًا من الدراهـم، ولا يقل عن بضعـة مـلايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعـوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمـالهم أدراج الرياح، وكانت غـايتهم أن يمهـدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح.

وكـانت المحاولة الأخـيرة التي قـام بهـا تيودور هرتزل في عـام (١٩٠١م)، ولكن عبد الحميد رفض مقابلته للصدر الأعظم:

«انصـحـوا الدكتـور هرتزل بألا يتـخـذ خطوات جـديدة في هذا الموضوع، إنـي لا أستطيع أن أتخلى عن شـبر واحد مـن الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمـة الإسلامية، التي جاهدت في سـبيلها وروتها بدمـائها فليحتـفظ اليهود بأموالهم ومـلايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت

---

(١) لمعرفـة حجم النفـوذ المالي الذي تتمتع به الـصهيـونية يكفي أن نعلم أن أسـعار الذهب والعملات الدوليـة يتم تحديدها في نشرتين يوميتين منذ عـام (١٩١٩م) من قبل أربعة من كبـار تجار الذهب وجميـعهم من اليهود وهم: روتـشيلد، ومونتاغـو، وشارب ويبكلي، وجونسون.

من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة» .

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان إنذارًا بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب، في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه:

«أما إذا رفض فسنواصل البحث، وصدقني إننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقًا لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

وثقوا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للأتراك فاذكروا ذلك دومًا»[١] .

وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين، فوجهت أنظار الحكومة لتنبيه الأهالي إلى الاحتزاز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الاستانة، ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها ببيروت المرحوم الشيخ عبد القارد القباني ما يلي:

«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس[٢] ، لأن تلك

(١) انظر نص رسالة عبد الحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

(٢) تكررت هذه الآونة الأخيرة محاولات نسف المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، كما نجح الصهاينة في نسف العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى فلسطين المحتلة، كما هاجموا مؤخرًا طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسؤولية أمام اللّه والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «مائير كاهانا» =

الأقطار كانت لحداً لاعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بصوالح الدولة والأمة معًا، إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط.

وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهز السلطان عبد الحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني يناير (١٨٩٢م)، وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل

= زعيم حركة «كاخ» قد خيّره بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الاغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء والكتمان، وقال الشيخ العلمي: إنه تعرض لأربع محاولات اغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

كما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب وإضطهاد العلماء المجاهدين الذين يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم بإحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشي دايان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!.

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو (١٩٨٤م) نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صيحة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!!.

كما كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وصحيفة «لوماتان» الفرنسية أن ضباطًا في الجيش الإسرائيلي يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» ـ أي: جبهة المؤمنين ـ ستارًا لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الإسلامية بفلسطين!.

عبدالحميد دهاءه السياسي لإخراج سيناء من ولاية مصر فأصدر فرمان التولية بحدود مصر دون إشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة الفرمان في الحفل التقليدي، ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبد الحميد، وكادت تعلن الحرب حتى اضطرته في ٨ نيسان أبريل (١٨٩٢م) إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

❑ ويقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»: إن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبد الحميد، وأن الشواهد تشير إلى خشيته من النفوذ البريطاني في مصر، وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لإسكان اليهود في سيناء[1].

---

(١) كلف فيلب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام (١٩٨٠م) لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل، يرأسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فردًا بينهم البروفسور حاييم بن شاما رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسول كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانشتر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، والبروفسور سيمور لبيست أستاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا.
وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥,٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣,٥ مليون يهودي في إسرائيل و٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و٢,٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفًا، وفي جنوب إفريقيا ١٣٠ ألفًا.

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبد الحميد بدهائه السياسي البعيد تعمد إثارة بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية، وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء وإعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الانكليز واليهود، إلا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسميًّا ودوليًّا.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لليهود، بالهجرة المحدودة فقط وليس إقامة وطن قومي في فلسطين ـ أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل ـ بعد فشل محاولته الأخيرة ـ إلا أن يلجأ لسلاح التهديد والوعيد صراحة.

= ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦,٧ مليون عام ١٩٣٩م إلى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م.

ويتطرق التقرير إلى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجيًا لدفع عرب الضفة الغربية إلى إعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي إلى مزيد من إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!.

ويقول التقرير إن إسرائيل تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١- إقامة سلام آمن.

٢- ترتيب جبهتها الداخلية.

٣- تنمية علاقات صحية وبناءة أكثر مع يهود المهجر الدياسبورا.

كما يعترف التقرير بأن إسرائيل تجد نفسها حاليًّا محاصرة بعدد من المشاكل الإقتصادية والاجتماعية، والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطرًا داخليًّا على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

ولم يكن السلطان عبد الحميد بغافل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارستها في الدول الكبرى، ولكنه في الوقت نفسه لم يملك إلا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي أخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب اللَّه المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل.

وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لأغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافله الشرقية والغربية، وكانت السبية اليهودية الروسية «روكزيلان» التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم السلطان» أول بؤرة صهيونية، وأول خرق للشريعة الإسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول ملك فرنسا، حينما منح لقب «حامي النصارى العثمانيين» وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام (١٩٥٣م)، الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد[1] .

---

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانيات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة، ورجال الإقتصاد الإيطاليين بفضيحة بنك «إمبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «ربيرتو كالفي» =

ولم يتوقف دور روكزيلان عند هذا الحد بل أنها بعد زواج ابنتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بخنق ولي العهد مصطفى ابن ضرتها، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصبح فيما بعد السلطان سليم.

وكانت روكزيلان سببًا في استعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هربًا من ظلم القياصرة، كما استعطفته ثانية لقبول إيواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفتيش الأسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول، وجزر المتوسط وموانيء الشام ومصر، وهم الذين سببوا فيما بعد دمار الدولة العثمانية، فنال الخليفة عبد الحميد الثاني حفيد سليمان القانوني على يد اليهودي قره صو جزاء سنمار، ولم يشفع له عند الصهيونية إزاء رفضه لعروض هرتزل، مما حققه البارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمال الخطوط الحديدية العثمانية (١٩٠٥م)، حتى أنه أوصى قبيل وفاته بإنفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سنمار لخلفاء المسلمين، وقد أعطى قره صو أربعمائة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الإيطالي وسلمها لثري اسمه «نجيب دراغا» الذي

= قتيلاً في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فراير» في لندن عام (١٩٨٢م).

وقال بازينزا: إنه يؤلف كتابين ويصور فيلمًا عن أهم الفضائح السياسية مما سيحدث هزة كبيرة، والمعروف أن بازينزا يرتبط بصداقات مع هنري كيسنجر وأليكسندر هيج، وكبار الساسة في أميركا وإيطاليا، بحكم علاقاته القديمة مع الماسونية والمافيا وفروعهما في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية !!.

أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس(١) التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو(١) بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذ عبد الحميد بخمسة ملايين».

□ يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم في محاضرته القيمة «غزة أريحا»: «إنه في نفس الليلة الذي أُقصي فيها السلطان عبد الحميد آخر سلاطين آل عثمان حدث حادثان خطيران أولهما: غياب الإسلام الفعلي، ثانيًا: سقوط فلسطين في يد اليهود، ومن المعروف أن اليهود بذلوا جهدًا كبيرًا في إغراء السلطان عبد الحميد حتى يسمح لهم بالاستيطان فقط في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، وبعد ذلك جاء هرسل فعرض على «عبد الحميد» مساعدات مالية مُغرية، فقال السلطان ضمن جوابه: سوف نغطيها بدماءنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها مِنّا ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل لكنها لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا بأي ثمن كان. وعرض هرسل بعد ذلك على السلطان اقتراحًا بتأسيس جامعة إسلامية في القدس يدرس فيها الشباب المسلم كل العلوم العلمية والدينية، ولكن لم يفلح كذلك، قدّم هرسل للسلطان مليوني ليرة ذهبية رشوة شخصية له فغضب شر غضبة وطرده، وفي اللقاء

(١) كان اليهودي قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزلة ويا لسخرية الأيام يهودي!!. وهؤلاء الأربعة هم:
اليهودي قره صو، والأرمني آدم، والأرناؤوطي طوبطائي، والكرجي حكمت.

الأخير حضر هرسل ومعه رئيس الحاخامات يعرضون عليه رشوة لإقامة وطن يهودي، واقترحوا القدس وحدها، وقال هرسل: أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس، فقال السلطان ـ وكان يحكي القصة لأحد أصدقائه في المنفى ـ: شعرت بالدم يضفر من رأسي، تأمل، لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقابل سلطتنا، صرخت بهما: اخرجا من هنا حالاً، إن الوطن لايباع بالمال، وحينما دخل رجال القصر أمرتهما بإخراجهما، منذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء كل ما ألاقيه هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطاء الوطن لليهود، ولقد ضحيت بعرشي من أجل فلسطين والقدس، وقلت لهم: لقد خدمت الملّة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين عامًا، فلن أسوّد صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

يقول بعدما أبلغوه بقرار خلعه: وحمدت المولى، وأحمده أنني لم أقبل أن ألطّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكلفيهم إياي بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة الفلسطينية.

وبعد خلع السلطان عبدالحميد أخذت الصحف اليهودية في سلانيك تزف البشرى بالخلاص من مضطهد إسرائيل، وعاث اليهود فسادًا في تركيا، وكان من ضمن الإجراءات التي قام بها السلطان عبد الحميد بعدما أحس بالخطر اليهودي أصدر فرمانات تقضي برفض قبول التجاء اليهود المطرودين إلى الدولة العثمانية، وأعلن ذلك قائلاً: «إن سكن اليهود في أجزاء الإمبراطورية يجعلهم يتسللون إلى فلسطين تدريجيًّا رغم ما اتخذته من تدابير، وسيسعون إلى تشكيل حكومة

موسوية بتشجيع الدول الأوربية، فليغادروا إلى أمريكا، أيضًا سنّ تعليمات لضمان عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، وبعد هذا حدث تسلل لليهود إلى فلسطين حتى بلغ عددهم فيها خمسًا وعشرين ألفًا طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أغلق السلطان عبد الحميد جميع المحافل الماسونية في الإمبراطورية كلها لكنها استمرت بشكل سرّي والمعروف أن الماسونية الولد النجيب لليهودية، وكان الذي سلّم السلطان قرار الخلع العم نويل قره صو اليهودي الماسوني فالتفت السلطان إلى الوفد الذي كان معه قائلاً: ألم تجدوا شخصًا آخر غير اليهودي لكي تبلغ خليفة المسلمين قرار الحل؟!

ومن قرارات: «السلطان عبد الحميد» قرارًا أبلغ به جميع ممثلي دول العالم في اسطنبول عام ١٩٠٠ بمنع الحجاج اليهود من تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين كما يحدث مع الحجاج في مكة فيسلم الحاج جواز سفره ويعطوه وثيقة يتحرك بها داخل مكة لمدة معينة، وإن تأخر عن هذه المدة فله الويل، فكل من لا يغادر البلاد في هذه المدة يُطرد بالقوة، وأصدر السلطان أمرًا بجعل تصريح الإقامة هذا لونه أحمر، حتى يسهل طردهم ولذا فلقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا على جميع الجوازات الدبلوماسية على مستوى العالم كله اللون الأحمر، وهو الجواز الذي لا يُفتش صاحبه، وهذا يعتبر إعادة اعتبار لليهود ضد إجراء السلطان عبد الحميد.



❁ السلطان عبد الحميد واليهود ❁

❑ قال الدكتور عدنان النحوي ـ حفظه اللَّه ـ:

سَلاَمٌ عَلى «عَبْد الحَميد» وَقَدْ مَضَى
عَلى الطِّيْبِ من أَمْجادهِ العَطِرَاتِ
فَيَا أيُّها «السّلطان» ذِكْرُك عاطِرٌ
عَلى صِدْق مَا جَاهَدْت في حَلَبَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى حَقٍّ وخُضْتَ سَبِيلَه
وَمَا لِنْتَ مِنْ طعْنٍ وَمِنْ غَمَرَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى دِيْنٍ يُوَحِّدُ أُمَّةً
وَيَجْمَعُ نُعْمَى عِيْشَةٍ وَمَمَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى الإِسْلام يُنْكِرُ فُرْقَة
وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ شُبُهَاتِ
يُسَاوِمُكَ الكُفّار مَالاً وَزِيْنَةً
وزَهْرَةَ دُنيا أوْ مَتَاعَ حَيَاةِ
لِتُعْطِيَهُمْ دَارًا وَرَوْضًا وَمَا حَوَتْ
«فِلسْطِيْنُ» مِنْ قُدْسٍ وَمِنْ حُرُمَاتِ
فَقُلْتَ لَهُمْ: أمْضيْتُ عَهْدي وَبَيْعَتي
مَعَ اللَّهِ في سَعْيِي وَفِي رَكَعَاتِ
وَبِعْتُ إِلَى الرَّحْمنِ نَفْسي بِجَنَّةٍ
عَلَى حُرْقَةِ الأَشْوَاقِ واللَّهَفَاتِ

فَكَيْف تُرَانِي أَرْتَضِي عَـرَضًـا بـهـا
إذَا كَـانَت الدُّنْيَـا هَشِـيْمَ نَبـاتِ
مَضَـيْتَ...وَمَا لانَتْ قَنَاتُك بَيْنَهُمْ
وَمَـا وَهَنَتْ نَفْسٌ عَلَى شَـهَـوَاتِ
هَوَى بِكَ رُكْنٌ...ما هَوَى عَزْمُكَ الذي
بَنَيْـتَ بِـهِ رُكْـنًا وصَـرْحَ أُبـاةِ
نَفَـوْكَ... وَمَـا هانَتْ بذَاكَ مَـحَامِـدٌ
وآذَوْكَ... فـاسـتمسكْتَ بَيْنَ عُـتـاةِ
عَلَوْت... فَهَانُوا دون صَبْرِك والهُدَى
وَذَلّوا...ورُمْـتَ المجْـدَ فـي ذَرَوَاتِ
سَـلاَمٌ عَلَى رُكْنٍ هَوَى فَـهَـوَت بِه
مِنَ الدّار أرْكَـانٌ ومِنْ عَـزَمَـات

□ وقال ـ حفظه اللَّه ـ:

أينَ عَـبْـدُ الحـمـيـد هانَ لديْه ... زخـرفٌ زائلٌ وقـصـرٌ مـشـيـدُ
لم تَهُنْ حُـرْمَـةُ الدِّيار عَلَيْـهِ ... لـم يَرُعْـهُ أذى ومكرٌ شـديدُ
صَـدَقَ اللَّه والرسـولَ فَـلاَنَ السـ ... ـجنُ والـهَـجْـرُ والأسى الممدودُ
رُبَّ يوم ينالُ فـيـه من اللّـ ... ـه نعـيـمًـا أَوْفى عليـه الخلودُ
حَـمَلَتْـهُ له الجنانُ فَـحُـورٌ ... مُـقْـبِـلاتٌ ولؤلؤٌ منضـودُ[1]

(١) ملحمة الأقصى ص (١٤١).

* ما يُؤخذ على الأتراك:

«المعروف أن اليهود كانوا ممنوعين من دخول القدس والسكنى فيها منذ سنة ١٣٥ قبل الميلاد، وجاء الإسلام وهم على هذه الحال، وكان من شروط عقد الفتح ألا يسكنوا البيت المقدس.

وفي زمن ضعف وتهاون حكام المسلمين، تسرّب بعض اليهود إلى القدس لزيارة ما يتوهمونه من آثار أنبيائهم... ولعلَّ هذا السماح أو السكوت عن دخولهم القدس كان في زمن السلطان سليمان القانوني ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني.

وقد ذكروا أن للسلطان سليمان القانوني زوجةٌ روسية اسمها «روكسيلانة» لعلها كانت يهودية الأصل.. وقد نُسب إليها إنشاء التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية، بالقدس..

أقول: ولعلَّ بعض ولاة القدس قد سمحوا لليهود بالدخول إلى القدس للزيارة طمعًا في زيادة ما يجنونه من الرسوم المالية على الزائرين، ومما يدلُّ على ذلك، أننا لم نكن نقرأ أن لليهود ذكرًا في العهد المملوكي فلما جاء العصر التركي أخذوا يتسربون ويزداد عددهم، حتى كان لهم في زمن إبراهيم باشا عضو في مجلس الشورى، وبدءوا منذ ذلك العهد، يتجرؤون على إظهار شعائرهم الدينية».

ومن مشجعات اليهود على الهجرة والاستيطان في العهد التركي، ما يلي:

أولاً: في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م) امتلك اليهود أول

أرض في المدن الفلسطينية، وذلك عام ١٨٥٤م، وهي القطعة التي أُقيم عليها «حيّ مونتيفوري» في بيت المقدس، نسبة إلى موسى مونتيفوري (١٧٨٤ ـ ١٨٨٥م) الثري البريطاني الذي زار فلسطين مرارًا، وشجع فكرة الاستيطان اليهودية.

ثانيًا: في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ ـ ١٨٧٦م) منحتْ الحكومةُ اليهودَ قطعة أرضٍ أُقيمت عليها مدرسة «نيتر» الزراعية بالقرب من يافا. وهذا هو نصُّ الفرمان السلطاني الذي صدر في ٤ محرم سنة ١٢٨٧ (٥ نيسان ١٨٧٠م) إلى شارل نيتر، نقلاً عن جريدة فلسطين اليافية في عددها الصادر ٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ «يُفْتَحُ المكتبُ المذكور لتعلم فَنّ الزراعة والفلاحة المرغوبة ترقيتُه في بلاد دولتي العلية، ويكون تابعًا لقوانين الدولة العليا تحت نظارة المعارف، وتحت حمايتي السنيّة. على أنَّ هذا المكتب، وإن يكن أُنشئ على اسم أطفال الملَّة الموسوية، إلا أنَّه يقبل فيه تلامذة من سائر الملل والمذاهب، بشرط أن يكونوا جميعهم من التبعيّة العثمانية».

وحول الفقرة الأخيرة من هذا الفرمان، كتبت الصحيفة المذكورة في عدديها الصادرين في ٨/٢٩، ١٨/ ٩/ ١٤١٢، تقول: إنَّ مجموع من دخل المدرسة ـ من الطلاب العرب ـ خلال ٤٣ سنة هم ١١ طالبًا، لم يكملوا دراستهم، وقبولهم كان لأسباب عديدة، منها: كون آبائهم من ذوي النفوذ، أو لهم علاقة بأشغال المدرسة. [عن كتاب/ النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ـ خيرية قاسمية ص١٢٤].

ثالثًا: أرهقت الدولة التركية الفلاحين الفلسطينيين بالضرائب، فعجزوا عن دفعها، فأدّى ذلك إلى استيلاء الدولة على أراضي الفلاحين،

وقراهم وعرضها في المزاد سنة ١٨٦٩م، لاستفياء ديون الضرائب المترتبة عليهم، فاشتراها أغنياء بيروت وتجارها الذين لا تربطهم بالوطن رابطة فباعها هؤلاء إلى اليهود «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص(٤٥)..

.. وكلّما قرأت هذا الخبر، تقطّع قلبي ألمًا.. لأنني أحصر التاريخ أمامي لأفتش فيه عن مثل هذا الصنيع فلا أجد.. وأسأل: لو كان الحاكمُ في قلبه ذرةٌ من الإيمان: باللَّه، والرسول، والوطن، والإنسانية والقوميّة، والحضارة، والكرامة، والشهامة والمروءَة.. لو كان في قلبه ذرة من هذه المقاييس هل يفعل هذا الصنيع؟ والجواب معروف. الفلاح الفلسطيني: يزرعُ أرضه مرة واحدة في العام إذا جاد اللَّه عليه بالغيث ويجمع منها في كلِّ عام، ما يكفيه قوت العام كلّه.. وإن كثيرًا منهم تسقط عنهم الزكاةُ الشرعية؛ لأنه لا يملك إلا قطعة من الأرض، لا تكاد تدرّ عليه إلا قوت الكفاف.. فبأيّ حقّ تُطلبُ منه الضريبة؟ إن الجزية، أو الخراج يسقطان عن الكتابيّ الذي يعجز عنهما، فكيف يُسْلَبُ مسلمٌ أرضه؛ لأنه عجز عن دفع الضريبة؟ وبأيّ حقّ تؤخذ الضريبة؟ ألأنَّ الحكومة تدفعُ الأعداء عن ثغور الإسلام؟ ألأنها تنشر العلمَ في ديار الإسلام؟ ألأنها تشق القنوات وتُصلح الأرضين؟.

❀ ❀ ❀

(و) إن الحقيقة التي وصلتُ إليها، بعد دراسة متأنيّة، تقول: إن سلاطين الأتراك، لم يُعطوا بيت المقدس حقَّه من الرعاية، ولم يكونوا حريصين على بقائه في حوزتهم، إلا لأنه أحد الأماكن المقدسة التي يزعم السلاطين أنهم يحرسونها ويخدمونها، لكسب عواطف المسلمين. وما حرسوها، وما خدموها ولكن شُبّه للمسلمين ذلك.

وإننا لنقول: إنهم فـرّطوا في أرضها، ووضعوا حـجر الأساس في استيـلاء الأغراب عليها، وإنَّ السلاطين الأتـراك كانوا قوميين متـعصبين لقوميتهم العثمانية، أكثر من تعـصب القوميين العرب لقوميتهم العربية، ولـم تظهـر هذه النزعة علـى يد الاتحاديين فـقط، وإنما وُلدت مع ميـلاد الدولة التركية. ومن الشواهد لما ذكرتُه:

١ ـ من الشواهد على قـوميتهم، أنهم أصـرّوا على أن تكون اللغة التركيـة هي لغة الدولة مع أنَّ استخدام اللغة العـربية ضرورة بل واجب ديني.. وهم أول مَنْ اتخذ لغة أعجمية لغةً للدولة من الأسر والسلاطين العـجم الذين كـان لهم سلطان شـامل على بلاد العـرب، فـبنو بويه، والسلاجـقة كانوا من الـعجم، ولكنهم اتخذوا العـربية لغـة، والمماليك ـ مع أن أكثـرهم أتوا من وراء البحار ـ اتخـذوا العربيـة لغةً للدواوين، ونجم في عصرهم أعلام الكتابة الديوانيّة:

النويري، صـاحب «نهاية الأرب» و«القلقـشندي» صاحب «صـبح الأعشى».

ومن قـبلهم كان بنو أيوب من أصل كـردي، وكان في خـدمتـهم جهابذة من الكُتاب والأدباء. وما كانت تُكتبُ الرسائل على لسان صلاح الدين، إلا بأرقى الأساليب العربية التي كانت سائدة في أيامهم.

ومن الشواهـد على القوميـة التركـية، أنك عندمـا تقرأ مـذكرات السلطان عبد الحمـيد، فإنه يكثر من استخدام مصطلح «الأمـة العثمانية» و«الأمة التركية» و«تراث الآباء والأجداد». مع أنه اتخذ «الخليفة» لقبًا له.

٢ ـ عَدَوْا على أرض القدس، وعلى الأوقاف الإسلامية، فقدموها هدية للغرباء.. والأمثلة لذلك كثيرة.

منهـا: المدرسة الصـلاحيّـة، التي أوقفـها صـلاح الدين الأيوبي، لتكون مدرسة عليا يتخرج فيها العلماء. أهداها العثمانيون للفرنسيين سنة ١٢٧٣ ـ ١٨٥٦م وحولوها إلى كنيسة.

وفي سنة ١٨٦٨م أهدى السلطان عبد العزيز فردريك ويلهم، وليّ عهد بـروسيا «بيمـارستان»[1] صلاح الديـن، أو جزءًا منه، وأنشأ عـليه الألمان كنيسة المُخَلّص، التي يسميهـا العرب كنيسة الدّباغة. والمعروف أن هذا المستشـفى (بيمارستـان) بقي يعمل حتى أواسط القرن الثـامن عشر الميلادي ـ الثاني عشر الهجري. وقد جرى افتتاح هذه الكنيسة سنة ١٨٩٨م عندما زار غليوم الثاني القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني.

ومنها: أن السلطان عـبد الحميـد الثاني، أهدى للإمبـراطور غليوم الثـاني سنة ١٨٩٨م أثناء زيارة الأخيـر القدس، أهداه قطعـة أرض على جبل صِهـيون مساحتهـا نحو دونمين، وبنى عليها الألمان كنيسـة سموها «كنيـسة نيـاحة العـذراء» ويصف شاهد عـيان الاحـتفـال باستـلام هذه الأرض، فيقول: «عند الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين في ٣١ تشرين الأول، سـار الإمبـراطور وزوجـه بموكب حـافل إلى مكان النبي داود، المعروف بعُليّة صهون، ولما بلغا المكان المشـار إليه، تقدم توفيق بك سفير الدولة العلية فـي برلين، وأهدى جلالته باسم الحـضرة العلية الـسلطانية أرضًا في ذلك المكان تبلغ مساحتها نحو ألفي متر مربع، وحضرة متصرف القدس قدّم إليه أوراقها الطغرائية الرسمية الواردة من الآستانة العليّة..

---

(١) بيمارستـان: مأخوذة من «بيمار» الفارسية بمعـنى «مريض» و«ستان» بمعنى «مكان» وتدل على المستشفى، وتختصـر أحيانًا فيقال «مرستان» وتطلق عند العامـة اليوم على مستشفى المجانين.

فاستلمها بيده الكريمة وسلّمها إلى وزير خارجيته وتقدم حينئذٍ صاحب الفضيلة الشيخ سعيد الداودي أمام جلالته قائلاً: بناءً على الصداقة الكائنة بين جلالته وعظمة متبوعنا الأعظم، فإننا نقدم لجلالتكم هذه الأرض، ونحملكم على الراحات..

وخطب الإمبراطور قائلاً: إن ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان أهدى المرحوم والدي الأرض التي بنيت عليها الكنيسة التي تمَّ تدشينها اليوم «كنيسة المخلص».

وأما عظمة صديقي السلطان عبد الحميد خان، فقد أهداني هذه الأرض، وكما أننا بنينا في الأولى كنيسة للألمان الإنجليين، فسوف نبني في هذه كنيسة للألمان الكاثوليك، فشكراً لعظمته ولآل عثمان العظام» [عن كتاب «الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، لإبراهيم الأسود ص(١١٣ ـ ١٣٦)].

.. فهل قرأت أو سمعت أن خليفة عظيمًا يهدي أراضي المسلمين وأوقافهم إلى الغرباء؟ وقد ذكرنا في مكان آخر، أن الإمبراطور الألماني هذا كان متكبرًا متغطرسًا دخل القدس في زيّ الصليبيين، ورفض أن يدخل المدينة من أحد أبوابها حتى لا يكون الإمبراطور تحت سقف أو سلطة أجنبية، فأمرت الحكومة أن يُفتح له باب خاص في هذه المناسبة.

٣ ـ وأما السلطان عبد الحميد الثاني الذي نُقل عنه أنه رفض التوقيع على وطن قومي لليهود في فلسطين، فإن رفَضه لم يكن له تأثير، ولم يفعل شيئًا غير الرفض. لقد رفض إنشاء دولة، ولكن الهجرة اليهودية السريّة والعلنيّة كانت في ازدياد في أيامه، ولم يتخذ إجراءات حاسمة للفصل في الموضوع. لقد تولى عبد الحميد الثاني

الخلافة مدة ٣٣ سنة، كان يمكنُه فيها، لو كان جادًّا، أن يُصدر أوامره، لمنْع ازدياد اليهود في فلسطين بعامّة، والقدس بخاصة، مع أنَّ المسألة كانت مُثَارةً، ويعلم بقصتها الخاص والعام.

(أ) تولى السلطان عبد الحميد الخلافة من سنة ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م.. وكانت الحكومة التركية قبل توليته بسبع سنوات (١٨٦٩م) قد استولت على أراضي مرج بن عامر من أهلها، وباعتها بالمزاد العلني، لأن الفلاحين عجزوا عن تسديد الضرائب المترتبة عليهم...

ألم يطّلع السلطان على هذا الظلم الذي حلّ بالناس؟ ألم يكن باستطاعته أن يُعيد الأرض إلى أهلها، وهو يعلم أنها وصلت إلى اليهود؟.

(ب) في سنة ١٨٨٦م بدأت الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين العرب، الذين طردوا من أرضهم، وبين اليهود.. فماذا فعلت الإدارة التركية؟ أصدرت أمرًا أن لا تزيد مدة إقامة السائح اليهودي في البلاد أكثر من ثلاثة أشهر... وهذا إجراءٌ ليس حاسمًا؛ لأن الإدارة التركية، كانت قد استشرى فيها الفساد، وانتشرت الرّشوة، مما جعل القيود المفروضة غير ذات تأثير.

(ج) في سنة ١٨٩٠م، كان في القدس متصرف اسمه رؤوف باشا، أبدى تعاطفًا مع العرب، وحاول أن يمنع اليهود من دخول البلاد، ويمنع انتقال ملكية الأراضي إليهم.. فعُزل عن منصبه، وحلّ محله رشاد باشا، الذي تعاطف تعاطفًا كاملاً مع مطامع اليهود.. ومَنْ الذي يعزلُ ويولّي؟ إن الأمر بيد الحكومة التركية في استانبول.. ولم يكن الأمر سرًّا على السلطان: فقد ذهب وفدٌ إلى العاصمة التركية من وجهاء

القدس سنة ١٨٩٠م وقدموا شكواهم إلى الحكومة.

وفي سنة ١٨٩١م قدم وفد من أهل القدس عريضة مكتوبة إلى الصدر الأعظم ـ رئيس الوزراء ـ وعينوا فيها مطلبين: الأول: تحريم الهجرة اليهودية، والثاني: منع استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية.

[راجع «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي، ص(٥٠) ـ وأقواله مدعمة بالوثائق]»[1].

❑ وقبل أي شيء فإن انتشار التصوف في أُخريات عهد الخلافة العثمانية، وسريان البدع في أرجاء دولة الخلافة كانت العامل الرئيسي لسقوطها قبل تكالب الصليبيين الغربيين على إسقاطها وفي التاريخ عبرة لمن يعتبر.

* العهد العثماني في سنواته الأخيرة في بيت المقدس:

بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى بجانب الألمان، أعلن السلطان محمد رشاد الخامس بوصفه خليفة للمسلمين «الجهاد الأكبر» ضد انكلترا وحلفائها.. وأخذت الحكومة العثمانية تعمل على نشر دعوة الجهاد بين المسلمين.

وأُخرجت راية النبي ﷺ، ووصلت من المدينة إلى بيت المقدس في ٢٠/ ١٢/ ١٩١٤م. وأقيم لاستقبالها حفل كبير في الساحة المحيطة بقبة الصخرة، وختم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى، ووُضِعت الراية هناك مؤقتًا، لإخراجها في اليوم الذي سيزحف فيه الجيش على مصر.

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(١٨٩ ـ ١٩٤).

* ولوجه الله نقول للتاريخ:

أنه لم يهتم الأتراك بالدفاع عن القدس الاهتمام اللائق بمكانتها وفضلها ولذا كان من الغريب اهمال أمر إعداد خطة دفاعية رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذها، بالرغم من مساعدة طبيعة الأرض المحيطة بالقدس وملاءمتها لأغراض الدفاع بصورة ممتازة، وقد أصدر مقرر القيادة العامة للجيوش العثمانية (يبلدرم) بالناصرة في ١٥ تشرين الثاني أوامره بإعداد دفاعات القدس، وهو أمر كان يجب أن يتم منذ قبول الدفاع وصرف النظر عن مشاريع غزو مصر والتقدم نحو السويس، أي منذ معركة الروماني في آب ١٩١٦م. ولذا لم تكن دفاعات القدس عند الهجوم عليها في كانون الأول من عام ١٩١٧م أكثر من خط واحد من خنادق النار المحفورة حديثًا في أرض كلسية طباشيرية يكشف بها التراب المستخرج حديثًا ببياض لونه خط التحصينات، ولم يكن بها ما يكفي لأغراض الدفاع الطويل من أرزاق وعتاد ومدّخرات. ولم تُجهّز بمدافع الحصار الثقيلة ولم تتخذ أي إجراءات فيما يتعلق بموضوع السكان المدنيين وإخلائهم، أو ترتيب إعاشة الباقين في المدينة في ظروف المعركة الدفاعية، وبالرغم من كل ذلك فقد أشغل الفيلق العشرون العثماني بقيادة علي فؤاد باشا الذي كان مقره في باب الواد مواضعه للدفاع عن القدس اعتبارا من ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م.

أعدّ علي فؤاد باشا الذي رُقي إلى رتبة لواء دفاعاته عن القدس، ونظم له «فوذ فالكنهاين» الألماني[1] على أثر قطع الإنكليز طريق القدس -

(١) تولى القيادة بمقر القيادة العامة للجيوش العثمانية في بادئ الأمر المشير «فالكنهاين الألماني» وفي أول أذار من عام ١٩١٨م خلفه المشير درليمان فون ساندرس وهو ألماني أيضًا!!

نابلس ـ خط مواصلات أمين يمتد شرقًا نحو أريحا والأردن وسكة الحجاز، ولكن علي فؤاد باشا ـ الذي كان يعتبره فالكنهاين أحسن قادة الفيالق التركية ـ لم يكن مؤمنًا بإمكان الدفاع عن القدس بالنظر للقتال المستمر الذي أنهك فيلقه بالرجال والمعدّات. وكان المشير الألماني يعقد الآمال على وصول القوات الألمانية وغيرها يوم ١٢ كانون الأول، إلا أن جميع الآمال قد انهارت حيث لم يستطع الفيلق العشرون الصمود في معركة القدس الدفاعية حتى لمدة ٢٤ ساعة، إذ تساقطت خطوطه وشرع بالانسحاب، وقد كان لضعف معنويات العثمانيين لدى القائد والجند تأثير كبير لإضعاف العزم على الثبات وهو أول ما يستند عليه الدفاع.

وعُين الجنرال اللنبي يوم ٨/ ١٢/ ١٩١٧م للشروع بالهجوم الكاسح للاستيلاء على القدس، وما إن بدأ الهجوم، قدّر علي فؤاد باشا حراجة الموقف وقرّر قبل ظهر ذلك اليوم استحالة الدفاع عن المدينة ووجوب إخلائها والانسحاب شرقًا.

دخول الإنكليز القدس

في اليوم الثامن من كانون الأول عام ١٩١٧م وفي ليلة الأحد بعث متصرف القدس (عزت بك) يطلب مفتي القدس (كامل الحسيني) ورئيس بلديتها (حسين سليم الحسيني) إلى داره. وفيها خاطبهما قائلاً: قد أحاطت الجنود الإنكليزية بالقدس ولا بد من أن تسقط في أيديهم وأنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة سألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم ـ أي تسليم المدينة للفاتحين.

وفي نحو التاسعة من صباح الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧م خرج رئيس البلدية يصحبه ابن أخيه توفيق صالح الحسيني، ومفتشا الشرطة عبدالقادر

العلمي، وأحمد شريف، وفريق من الشبان منهم رشدي محمد المهتدي، وجواد إسماعيل الحسيني، وحنا إسكندر اللحام الذي كان حاملاً العلم الأبيض، إشارة للتسليم. التقى هؤلاء بالإنكليز في الغرب من المدينة على طريق الشيخ بدر، وأخذ الضابط يسأل الرئيس أسئلة استدل منها على أنَّ العثمانيين غادروا القدس عندئذ دخل الجيش البريطاني البلدة في العاشرة والنصف، وانتهى العهد التركي الذي دام (٤٠٠ سنة) ١٥١٦ - ١٩١٧م

ويصف صاحبا تاريخ القدس ودليلها (ص١٣٨ - ١٣٩) دخول هؤلاء البريطانيين للقدس بقولهما:

«وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة، فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولّوا وجوههم شطر نابلس. وكانت السماء ماطرة، وكان يُخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون، فدخلها الإنكليز (الأحد ٩ كانون أول ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر، الحي الكائن إلى الغرب من المدنية، وكان أول عمل قام به الإنكليز بعد احتلالهم المدينة، أن نصبوا عند مدخلها من الغرب، وذلك المدخل الذي دخلوها منه.. وهو الحي المعروف بحي الشيخ بدر، نُصْبا من الرخام الأبيض تذكارًا لفتحهم، نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فُتحت على يده، وأنشأوا حول النصب حديقة - وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليبًا. إلا أنهم عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود. ووضعوا الصليب لا يراه الناظر من بعيد وفي ١١/١٢/١٩١٧م، وبعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور، دخل الجنرال اللنبي القائد العام للقدس من باب الخليل، وأذاع على

سكان بيت المقدس من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة:

«إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي وفي الوقت الذي أُذيع عليكم هذا النبأ، أُعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية...»[1].

* الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية:

في ٩ شعبان الموافق ١٠ يونيو ١٩١٦م ابتدأت الثورة العربية عندما أطلق الشريف الحسين أمير مكة رصاصة الثورة على ثكنات الجيش العثماني، ثم أذاع منشور «الثورة» وما دري هذا الشريف!! أنه خان أمته ووقع في براثن الكولونيل لورانس المسمى بلورانس العرب.. عاشق الصهيونية.. وبجنود الشريف حسين الأعراب دخل اللنبي القدس... من يتصور هذا!! ويغرس علمه على جبل صهيون ويقول: لقد انتهت الحروب الصليبية الآن.

* دخول اللنبي فلسطين ومعه الغفاة من القوميين:

فَيا وقفَة التاريخِ يَسكبُ دَمعةً
يُودِّع من ساحاتِهِ الخَضِراتِ

وَيا وَقفةَ التاريخ يَسكُبُ أدمعًا
عَلَى هَولِ ما يمتدُّ من نكبَاتِ

(١) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص(٢١٥ ـ ٢١٦).

وَيَا وَقفَةَ التَّارِيْخ والزّحْفُ مُقْبلٌ
وفرحَةُ قِطعانٍ وفرحَةُ شاةِ
فَيَا أَيُّها الأَقْصَى...! حَنانَيْكَ..هَلْ تَرى
أكفٌ وفاءٍ أم أكفٌ عُداةِ
وهل رَاعكَ الزحفُ الذي شد جَمعهُ
بَنوْكَ وَقَد غذّوهُ بالمُهَجاتِ
ألِلنبي...! وقد خفَّت إليهِ عمائمٌ
ودَفقُ جَماهيرٍ وخفقُ سُعاةِ
ومَا ضرَّهم لو كان فيهم مُضلَّلٌ
وَحيدٌ يُغَذّي الشرَّ بين هُدَاةِ
ولو كان فرداً واحداً هَانَ أمرُهُ
ولكنهم جمعٌ وحَشدُ غُفاةِ
ولكنهم، يا ويحَ نفسي، أُمةٌ
غَفَت وتولاَّها طَويلُ سُباتِ
ومَاجت لهُ الدنيا...! دويَّ مُنافِقٍ
ورجفَةَ رِعديدٍ وهمسَ وُشَاةِ
وصفَّقَ مأجُورٌ... ورجَّعَ أَحمَقٌ
عُواءَ ذِئابٍ أو صَدَى طَعَناتِ
ألِلنبي...! وقد أَصغَت مَواثيقُ أمةٍ
إِليكَ، وآمَالٌ وعَهدُ حَياةِ

تكلم...! وقد أصغت قُلوبٌ وأضلُعٌ
تُرَجعُ من شوقٍ حنينَ رُفَاتِ
وَقَتلَى على المَيدان كُنتَ تَقُودُها
أزِمَّتُها عَهدٌ وجَهلُ غُفَاةِ
تكلم...! كأن الغَدرَ يهدرُ من فمٍ
وتَنطلِقُ الأَحقادُ من كلِمَاتِ
أللنبي...! أَزح عنكَ القِناعَ لعلنا
نرَى ما طوَاه المكرُ من صرخَاتِ
فَدَوَّى: هُنَا يُنهي الصليبُ حُروبهَ
ويُمضِي فُنُونَ الموتِ والفَتَكاتِ
ويُمضِي معَ الأيام نهجَ إبادةٍ
وخُطةَ تَمزيقٍ ووأدَ حَياة
ودوَّى بها الأقصَى يَمُوجُ بأدمعٍ
مُفَزَّعَةِ الأحزَانِ مُشتعِلاتِ
وَعَادَ رجالُ المسلمين... وخَلَّفوا
هُناكَ... بقَايَا الدمع والحَسَراتِ
يَعضُّونَ من طُولِ الندامةِ كفَّهُم
ويُحنُونَ من هامٍ ومن نَظراتِ
يَمُرون... والساحَاتُ صرعَى ولم تجِد
لها من بواكٍ حولَها ونُعاةِ

وغـابَت وُعُـودُ «الإنجليـز» كـأنهـا
بقـيـة أَحـلامٍ وَوهـمُ رُوَاةِ
وكـشـرَت الأنيـابُ وامتَـدَّ مـخلَبٌ
وَعـوت ذِئابُ البـيـدِ والفَلَواتِ
ودَوت وُحُـوشُ الغَـابِ تسـحَقُ دُونَهَـا
دِيَاراً وتَرمي شـاهِـقَ الذَّرَوَاتِ
تُـمـزق أوصـالَ البِـلادِ غَنَائـمًـا
تَنَاهَبُـهَـا في جَـهـرَةٍ وبَيَـاتِ
فـيـا أيهـا الأقـصى إسـارُك خـانِقٌ
عَلَى قـبـضَـةٍ تَدمَى وكَفٍّ جُناةِ
تُحـيطُ بكَ الأفـعَى وسُمّ انتِـدابِـهـا
وتَزْحَفُ صِـهـيـونٌ إلى أكـمـاتِ
وتقطَعُ أرحَـامًـا وتنصُبُ بينهَـا
حُـدوداً وتُوري النار في أجَـمـاتِ
إذا سَـقَـطَ «الأقـصى» فكل دُروبهم
مـفَـتَّـحَـةُ الأبوابِ والطُرُقـاتِ
فسيري «فرنسا» ها هُوَ الدّربُ شقه
لِزحـفكِ ليلٌ حَـالكُ الظُلُمـاتِ
أفـاقَت دِمـشقٌ والرَّدى يدفَع الرَّدَى
ودَفعُ المنَايا صَـاعِقُ الخَطَفَـاتِ

فَهبَّ إلى ساحاتِها الصِّيدُ والتقتْ
مَلاحمُ من هولٍ ومن غَضَباتِ
فيا «مَيْسَلُونُ» استرجعي دمعَةَ الأسى
ويومًا يُرَوِّي الدهرَ بالعَبَراتِ
أحاط بك المكرُ اللئيم وأطبقت
عليكِ زُحُوف الموت والنكبَات
فرنسا...! وهذي الشامُ لمت دُموعَها
على حُرقَةِ الأجفانِ واللَّمَحَاتِ
وهذي دِمشقٌ والليالي تَمدُّها
مآتِمُ أجيالٍ ونَعيُ كُماة

❁ ❁ ❁

غورو الصليبي وقبر صلاح الدين

لما وقف غورو على قبر صلاح الدين ركله بقدمه وقال: ها قد عُدْنا يا صلاح الدين!

أَعِيدي صَدَى «غورو» ووقفَةَ فاجرٍ
جَبانٍ وزيفَ المجدِ والدعَواتِ
وَقَفتَ على قَبرٍ يَضُمُّ جِدَارُهُ
جَلالَ حَياةٍ في جَلالِ مَمَاتِ

أراعَكَ هذا القبرُ أم راعَك الذي
يَضم من الأحداثِ والوقعَاتِ
حَسِبتَ الذي في القبرِ مَيْتًا... وإنَّه
شَهيدٌ مضى للَّه في وثَباتِ
فخانَكَ من عزم الرجالِ عزيمةٌ
وَرُحتَ ذَليلَ الصوتِ والخَطواتِ
تُنادي صلاح الدين مَهلاً فإنَّه
يُدَوِّي دوِيّ الساحِ والحَلباتِ
دَويًّا يهزُّ الأرضَ تحتَكَ هزةً
وينزَعُ من جَنبيكَ أيَّ ثَباتِ
نِداؤكَ كيدُ الظالمين وكِبرُهُم
وزيفُ حَضاراتٍ وزيفُ دُعَاةِ
نِداءُ جَبانٍ جَاوزَ الكِبرُ جُبنَه
فَخر صَريع الكِبرِ والسكراتِ
هُزِمتَ أمامَ القبرِ شرَّ هَزيمةٍ
كما هُزِمَ الأجداد في غَزَواتِ
نداءُ صلاح الدين مِلءُ حَواضرٍ
ومِلءُ زمانٍ زاهرٍ بشُداةِ
أُولئك إن شِئتَ الجدودُ فَسلْهُمُ
لعلكَ تَلقَى الصدقَ بَيْنَ رُفَاتِ

جُـدُودُك طوَّاهم تُرابٌ وغـيـهَبٌ
وَوَارَاهُمُ التـاريخُ في حُـفـرَاتِ
أولئك...! سَلهُم عن شِـعـارٍ ورَايةٍ
ومَـا زيَّفَـوا من جَـوهرٍ وسِـمَـاتِ
أحُـرِّيَّةُ الإنسـانِ خنقُ حناجـرٍ؟
وزَيفُ إخـاءٍ في لـهـيب تِرَاتِ
وزيفُ مُسـاواةٍ على جَـاهليـةٍ
مُـؤَجـجَـةِ الأهواءِ والنزَواتِ
وهذا صلاحُ الدينِ مجـدٌ مُـؤثلٌ
على الصِّدقِ مَنشُورٌ على صفحَاتِ

❁ ❁ ❁

فَأَينَ «برِطانيا»... أين عَهدُ عِصَابَةٍ...!
وَأينَ «فَـرنَسَـا»... من حَنانِ عِظاتِ
وَأينَ «كِلايتُون»... أينَ «لُورَنسُ» حرَّكا
خُـيـوطًا ومـدًّا بينَـهـا شـبكاتِ
رَسَـائِلَ «مكمَـاهُون» خُطت بأدمُعٍ
وبِالدمِ دَفَّـاقًـا على هَضَـبـاتِ
طَوتهُم زَوايا «سَايكس بيكُو» وقسَّمُوا
على شَـهـوةِ الأَطمـاعِ والنزَعـاتِ
ووعـدٌ علَى «بلفُور» تَحميه عُصبَةٌ
وَتَدفَعُهُ في الجَـهـرِ والعَـتَـمـاتِ

فَبَكّوا كما تَبكي النساءُ وَولولوا
على غُصَصٍ من دَمعِها شرِقاتِ
وَهَل بَاتَ يُجدِي الدمعُ والدارُ أَصبَحَت
على ذُلِ أهلِيها سَخيٌّ هِبَاتِ
وَأينَ شِفَاءُ الدمعِ والنصلُ قَد جَرَى
يَحزُّ رُءُوسًا أسلَمت لِعُتاةِ
عُتَاةٍ... أصَابُوا الزرع والضرع والحشا
ومَدّوا قَناةً أُتبِعَت بِقَنَاةِ
يَجُودون بالأقصى لصِهيونَ منحَةً
وَيَرمُون بالأعراضِ والفَلذَاتِ

❁ ❁ ❁

وهَل كانَ يَدرِي «الإنجليزُ» بأنهُم
سَيَلقَون عُقبى الشرِّ والتبِعَاتِ
سَيَلقَون والأحلافَ يَومًا يَهُزهم
وَيَنقُضُ من دارٍ ومن شُرُفَاتِ
تَخِرُّ سُقوفُ الدارِ فَوقَ رءُوسهم
وَيَهْوُون في وادٍ من الظُّلماتِ
يُحِيقُ بهم مكرٌ رَموا ويسُومهُم
مَن الذلِّ ما سَامُوهُ من ضَرَبَاتِ
فلسطينُ هل أبقيتِ دمعًا لنائحٍ
حنانَيْكِ من شوقٍ ومن عبراتٍ